فكرة التعاون

تاريخ نشأتها واهتمام المصريين بها

للدكتور ابراهيم رشاد بك

" التعاون " بوصفه العالمى الحالى نظام اقتصادى اجتماعى وفق اليه العمال فى انجلترا فى منتصف القرن التاسع عشر تحت ضغط الأحداث القاسية التى كانوا يعيشون فيها من انخفاض فى الأجور وغلاء فى تكاليف المعيشة .

وكانت أولى الجمعيات التعاونية جمعية « روتشيل » بالقرب من مانشستر عام ١٨٤٤ ، وقد تأسست على الأوضاع والمبادئ التعاونية الصحيحة على أثر ما بذله كبار المصلحين الاجتماعيين من رواد التعاون وعلى رأسهم « روبرت أوين » الذى يسمى « أبا التعاون ».

وقام بتأسيس هذه الجمعية ثمانية وعشرون نساجا ساهم كل منهم بجنيه واحد ووضعوا لأنفسهم برنامجا واسع المدى ، كما حددوا المبادئ التى تسير عليها جمعيتهم . وبدأ هؤلاء النساجون عملهم بإنشاء محل متواضع لبيع عدد من أصناف " البقالة " لا يتجاوز أصابع اليد الواحدة ، وبذلك أصبحت جمعيتهم هذه نواة التعاون فى العالم ، وقد ساروا بها بهمة وعزيمة على هدى مبادئ سبعة وضعوها لأنفسهم ثم ما لبثت أن صارت الأسس التى يقوم عليها التعاون فى كل قطر مهما اختلفت أشكاله وتباينت أغراضه . وتتلخص تلك المبادئ فيما يأتى :

أولا — " الباب مفتوح " بمعنى أن عضوية الجمعية مباحة للجميع .

ثانيا — " الديمقراطية فى الإدارة " فلكل عضو صوت واحد فى الجمعية العمومية — التى هى مصدر السلطات — مهما يكن عدد الأسهم التى يمتلكها :

ثالثا — " الفائد " وهو الربح الصافى الذى " يعود " الى الأعضاء فى ختام السنة بنسبة معاملة كل منهم للجمعية .

رابعا — الفائدة المحدودة على رأس المال ، فلا يجوز أن تزيد على ٦ ٪ لأن الأساس فى التعاون الخدمة لا الربح .

خامسا — الابتعاد عن التدخل فى الدين والسياسة .

سادسا — المعاملة نقدا لتعويد الأعضاء على موازنة دخلهم وخرجهم .

سابعا — نشر التعليم والثقافة .

ونمت جمعيـة " روتشيل " حتى بلغت درجة كبيرة من العظمة ودعاها هـذا النمو الى الانتقال من دارها الأولى الى أفخم دار فى البلدة ، أما مقرها الأول فقد أصبح متحفا تعاونيا يفد اليه التعاونيون من سائر أنحاء العالم .

وما كادت جمعية روتشيل تمضى فى عملها حتى علم بها القريب والبعيد ، وأخذ الأهالى ينشئون فى مختلف أنحاء انجلترا الجمعيات التعاونية على غرارها ، واستمر التسابق فى إنشاء هذه الجمعيات حتى بلغ عددها فى عام ١٩٣٧ (١٠٩٤ جمعيـة) تضم ٨,٠٨٥,٠٠٠ عضوا وقـد بلغ رأس مالها ١٥٠ مليونا من الجنيهات ، وقيمة معاملاتها ٢٥١ مليونا فى العام .

ولما اتسعت الحركة شـعرت الجمعيات بالحاجة الى جمعيـة مركزية تهيمن على شئونها وتمدها جميعا بما تحتاج اليه من أصـناف المأكل والملبس ومختلف حاجات المنازل سـواء بالتوسط فى توريدها اليهـا أو بانتاجها فى معامل ومزارع تمتلكها وتديرها . وقـد أسست الجمعيات التعاونية جمعيتها المركزية للاتجار بالجملة بمدينة مانشستر عام ١٨٦٣ وأمدتها بالمـال والرجال على أن يعود ما تجنيـه من ربح صاف الى الجمعيات التى ساهمت فى تكوينها بنسبة تعاملها معها وهى نفس الطريقة التى توزع بها الجمعيات المحلية " العائد " على أعضائها .

وقد بلغت قيمة منتجات الجمعية المركزية للاتجار بالجملة فى انجلترا ٢٠ مليونا من الجنيهات عام ١٩٣٧ و بلغ مجموع مبيعات هذه الجمعية ٦٠ مليونا ، وكان رقم أعمال البنك التعاونى للمستهلكين ٣٩٣ مليونا .

وهكذا تم تكوين الحركة التعاونية فى انجلترا ، ولم يبق غير خلق رأس المـال ، وقد تم ذلك أيضا عام ١٨٧٣ إذ أسس التعاونيون بأموالهم ورجالهم اتحادا لهم فى مدينة مانشستر ذاتها وتعتبر معقل التعاون فى تلك البلاد . وتتلخص مهام هذا الاتحاد التعاونى فيما يأتى :

(ا) توجيه الجمعيات وإرشادها .

(ب) الإشراف على أعمالها ومراجعة حساباتها .

(ج) تمثيلها والدفاع عن مصالحها .

(د) نشر الدعاية التعاونية .

(هـ) نشر التعليم التعاونى .

(و) توحيد القوى المعنوية للتعاون و إيجاد رأى عام تعاونى .

وأنشأ الاتحاد التعاونى فى عام ١٩١٨ كلية التعاون وجعل مقرها مانشستر لتكون مبعث التعليم التعاونى ومقصد طلاب التعاون من كافة الأرجاء . ثم كملت الهيئات التعاونية العليا بالمؤتمر التعاونى الذى يعقد كل عام فى إحدى المدن الإنجليزية الكبيرة ، و يفد إليه ممثلو الجمعيات للبحث فى شئونهم التعاونية . ومن الخدمات الجليلة التى يؤديها المؤتمر للتعاونيين إصداره بعد كل اجتماع يعقده تقريرا عاما عن الحركة التعاونية فى انجلترا ، شاملا كل البيانات والإحصاءات عن تلك الحركة .

ذاع نبأ هذه الحركة الديمقراطية حتى عم القارات الخمس ووقف العالم بأجمعه على عظم الخدمات الاقتصادية والاجتماعية التى يقدمها التعاون للشعوب . ودعا ذلك الأقطار إلى اقتباس مبادئه ثم تصرفت فى تطبيقها بما لا يمس المبادئ الأساسية . و بعد أن نشأ التعاون استهلاكيا فى انجلترا صار زراعيا فى الدانمارك ، وماليا فى ألمانيا ، وصناعيا فى فرنسا . وهكذا استفادت هذه البلاد وغيرها من النظام التعاونى استفادة تتناسب مع أحوالها وطبيعتها . ويتضح مدى اتساع الحركة التعاونية فى العالم من الاحصاء الآتى :

عدد الجمعيات التعاونية	عدد الأعضاء	قيمة المعاملات السنوية
٧٠٠,٠٠٠	١٥٠,٠٠٠,٠٠٠	٦٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠ جنيه

ووصلت دعوة التعاون وفكرته إلى مصر عام ١٩٠٨ على يدى رجل التعاون والقانون "عمر لطفى" واهتم بالتعاون فى نفس الوقت المغفور له السلطان "حسين كامل" "أبو الفلاح" وإذا كان هذان الرائدان قد دخلا ميدان التعاون من بابين مختلفين فانهما خرجا بنتيجة واحدة هى ضرورة توطيد التعاون فى مصر على أساس شعبى ، لما فى ذلك من خير عميم للبلاد وأهلها .

أما عمر لطفى فمع علمه بأن التعاون يعوزه التشريع فقد سعى للتغلب على هذه العقبة واجتهد فى التوفيق بين القوانين السارية و بين قواعد التعاون ، كما اهتم بالتعاون فى الريف والحضر على السواء . وسافر عمر لطفى إلى إيطاليا التى وجد فيها مثله الأعلى والتى أخذ فيها التعاون على " لويجى لوتزانى " زعيم حركته ووزير المالية فى ذلك الوقت . ولما عاد من رحلته إلى الخارج طاف البلاد مبشرا بفكرته ، وقد نجح فى تأسيس عدد من الجمعيات الزراعية والمالية والمنزلية فى مختلف المدن والقرى وبذلك كان أول من رفع لواء التعاون فى مصر .

واما السلطان "حسين كامل" فقد بدأ بالسعى فى وضع تشريع للتعاون ، وألف لجنة فى الجمعية الزراعية لهذه الغاية ،وقصر اهتمامه على التعاون الزراعى دون غيره من وجوه التعاون ولما كان مثله الأعلى فرنسا فقد استدعى " المسيو جوزيف ريبيه " للاستعانة به فى وضع الأسس التعاونية الزراعية .

غير أن نفسية الشعب وقدرته على العمل لم تكونا فى ذلك الحين قد تهيأتا للنظم التعاونية والسير بها بنجاح . وأدى ذلك الى ضعف الجمعيات أو " النقابات " كما كانت تسمى فى ذلك الوقت ، ثم ما لبثت أن اضمحلت وأدركها الفناء ، كما لم تثمر الجهود التى بذلت لإصدار تشريع تعاونى ، لأن الحكومة كانت تنظر إذ ذاك الى الحركة التعاونية بعين الريبة .

وهكذا قضى على النهضة الأولى للحركة التعاونية ، تلك النهضة التى قام بها الشعب بقيادة رجاله ، و إذا كان عمر لطفى وأنصاره ، والسلطان " حسين كامل " ومن تبعه قد أخفقوا فى إقامة حركة تعاونية شعبية موطدة الدعائم فى مصر فقد نجحوا فى تهيئة الشعب واعداد الحكومة للتضامن معا — فيما بعد — لإقامة صرح الحركة التعاونية المرجوة . وبدأت النهضة الثانية للحركة التعاونية التى يرجع الفضل فى نجاحها الى تضافر الأمة والحكومة على وضع أسسها التشريعية والتنظيمية والمالية منذ عام ١٩٢٣ أى بصدور قانون التعاون الذى أنشأ ديوانا عاما ليرعى تلك الحركة التعاونية المباركة .....

ولنتحدث الآن عن الحركة كما هى قائمة فى الوقت الحاضر دون أن ندخل فى تفاصيل التعديلات التى أدخلت على قانون التعاون فى سنة ١٩٢٧ ، أو نذكر أسباب نقل الإشراف على الحركة التعاونية من وزارة الزراعة الى وزارة أخرى ، أو نورد ما طرأ على طرق تمويل الجمعيات من تطورات ، ولنبين أولا كيف تدار الجمعيات و إلى أى مدى تشرف الحكومة عليها .

توكل الجمعية التعاونية الى مجلس ادارة مكون من خمسة الى سبعة أشخاص تنتخبهم الجمعية من بين أعضائها ، وهم فى الغالب من أهل الرأى والجاه فى الجهة . وينتخب هذا المجلس من بين أعضائه رئيسا ونائب رئيس وسكرتيرا وأمين صندوق ،ويجتمع من وقت لآخر بحسب الحاجة ، ويدون مداولاته فى دفتر خاص بمحاضر الجلسات . وهو الذى يدير الجمعية و يشرف على طلبات الأعضاء ، و يعقد الصفقات . أو بعبارة أخرى هو الذى يقوم بكل أعمال الجمعية باسمها فى حدود قانون التعاون ونظام الجمعية الداخلى وقرارات الجمعية العمومية .

ويراقب تصرفات مجلس الادارة "لجنة مراقبة" مكونة من ثلاثة تنتخبهم الجمعية العمومية من بين الأعضاء ، والحكمة فى ايجاد هذه اللجنة اتخاذ الحيطة كيلا يحيد مجلس الادارة عن جادة الصواب، وتجتمع اللجنة كلما دعت الضرورة، أما الجمعية العمومية — وهى مصدر السلطات جميعا — فتعقد مرة فى السنة، ولكل عضو فيها صوت واحد مهما يكن عدد الأسهم التى يملكها .

وتشرف ادارة التعاون على شؤون الجمعيات وأعمال القائمين بها .

إن بلادا زراعية كمصر لا بد أن تكون حركتها التعاونية ذات صبغة زراعية، غير أن ذلك لا يحول دون قيام أنواع الجمعيات التعاونية غير الزراعية كالجمعيات المنزلية والصناعية فلكل منها ميدان تعمل فيه وخدمات تقدمها الى الشعب .

واذا كان مجال الحركة التعاونية فى المدن فإن جزءا كبيرا منها سيعود ولاشك على القرويين كما أن دخول التعاون ميدان الصناعة فى مصر يكون غالبا فى تلك الصناعات المرتبطة بالزراعة كالألبان ، والمحالج، وغزل القطن، والصوف ونسجها، واستخراج الزيوت وصنع "المربات" والنحالة .

ومع أن معظم الجمعيات التعاونية القائمة فى مصر الآن زراعية الا أنه يوجد ٥٠ جمعية منزلية ، وواحدة صناعية وكلها محلية بمعنى أن أعضاءها أفراد ومنطقة عمل كل منها محدودة إلا خمس جمعيات مركزية بمعنى أن أعضاءها جمعيات محلية، ومنطقة كل منها واسعة تتناول مديرية بأكملها أو تتناول القطر المصرى كله .

ابراهيم رشاد

باقة من حكم الإمام

— افعلوا الخير ولا تحقروا منه شيئا فان صغيره كبير وقليله كثير .

— من أصلح سريرته أصلح الله علانيته ، ومن عمل لآخرته كفاه الله أمر دنياه، ومن أحسن فيما بينه وبين الله أحسن الله ما بينه وبين الناس .

— الحلم غطاء ساتر والعقل حسام قاطع، فاستر خلل خلقك بحلمك وقاتل هواك بعقلك .

— إن لله عبادا يختصهم بالنعم لمنافع العباد فيقرها فى أيديهم ما بذلوها، فاذا منعوها نزعها منهم وحولها إلى غيرهم .

— كل يوم لم تعص الله فيه فهو عيد .

— الناس أعداء ما جهلوا .

— إذا كان فى رجل خلة رائقة فانتظروا أخواتها .